من جوانب الحياة الاقتصادية لبغداد أثناء سيطرة المغول الايلخانيين

أ.م.د. عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي
جامعة سامراء / كلية التربية – قسم التاريخ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

أما بعد ....

فموضوع الغزاة الطامعين لبلاد العرب والمسلمين موضوع طويل ومتجدد على مر العصور ، والبحث في غاياتهم وأهدافهم ووسائلهم ونتاجاتهم يستحق البحث والدراسة فكان من دواعي سرور الباحث أن تكتب في جانب من جوانب الغزو المغولي للعراق وأثره الاقتصادي على حياة البلد فأصبح ((من جوانب الحياة الاقتصادية لبغداد اثناء سيطرة المغول الايلخانيين)) عنواناً للبحث قيد الدراسة .

لقد اشتمل البحث في هيكليته على تمهيد ، ومبحثان ، فالمبحث الأول بعنوان الأنهار والأراضي الزراعية،اما المبحث الثاني فتناول الصناعة والتجارة ، ثم الخاتمة ومن بعدها قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في انجاز البحث قيد الدراسة .

اما المصادر والمراجع المعتمدة في انجاز هذا البحث فكانت جملة من المصادر الاولية وجملة اخرى من المراجع الثانوية ، وكل من هذه المصادر والمراجع كانت له اهميته الخاصة في توثيق المعلومات المتعلقة بالبحث والتي يمكن الاطلاع عليها من خلال هوامش البحث .

تمهيد:

ازال هولاكو[١] الخلافة العباسية من العراق و تأسست دولة أخرى هي الدولة الايلخانية المغولية التي حكمت العراق من السلطانية[٢] ومن ثم من تبريز[٣] ، وبعد ان استباح هولاكو بغداد امر بإصلاح بعض ما خرب وترميم الأسواق ورفع جثث القتلى ثم رحل عن بغداد وفوض أمرها الى جماعة معينة لاعادة تنظيمها مبقيا على التشكيلات الإدارية كما كانت عليه في العصر العباسي الاخير[٤] ، فعين هولاكو ابن العلقمي[٥] وزيرا و فخر الدين مديرا للادارة و علي بهادر لمراقبة التجار و الصناع ، كما ارسل الكانويان قائد الجناح الايسر لجيش هولاكو حين دخل بغداد ، و قره بوقا مع ٣٠٠٠ جندي لاعادة نظام الاسواق و تجديدها و اقامة البيوت المهدمة[٦]ولقد حاول الايلخانيون جهدهم لاعادة ثروة العراق الى سالفها و نجحوا الى حد كبير ، ولقد عين هولاكو مدراءاً للولايات وامرهم بتعميرها وعاقب بصرامة كل من اهمل واجباته، ولعل احسن فترة

مجلة آداب الرافدين
ISSN : 1813-6798
مجلة للدراسات الانسانية محكمة ومتخصصة
تصدر عن كلية الآداب / جامعة الموصل

شهدها العراق خلال الحكم الايلخاني هي فترة حكم غازان خان[٧] الذي شجع الزراعة و الصناعة و التجارة و امن المواصلات و قضى على قطاع الطرق و عاقب بصرامة كل من خالف اوامره و كان قد قبض على السلطة بيد من حديد و لهذا ازدهر العراق نوعا ما في وقته و لكن عوامل الهدم كانت أقوى من عوامل البناء فتردي اقتصاد العراق بالتدريج وقل السكان و أهملت الزراعة ولم يلتفت الحكام إلى مشاريع الري كما كثرت الثورات بعد الدولة الايلخانية و تعددت القوات التي سيطرت عليه[٨].

المبحث الأول
الأنهار والأراضي الزراعية

١- الري :

اشتهر العراق بصورة عامة و السواد[٩]بصورة خاصة بخصبه و لعل السبب في ذلك يرجع الى تنظيم استعمال مياه دجلة و الفرات و وجود نظام دقيق للري و خصوبة التربة و تجدد هذه الخصوبة كل عام بما يجلبه نهر دجلة و الفرات من رواسب ، وكان لدى العباسيون ديوانا سموه ديوان الاقراحة للإشراف على الري و القنوات ، يتكون نظام الري في منطقة بغداد من مجموعة من القنوات هي :

أ- القورج :

يأخذ القورج من دجلة بالقرب من علث [١٠]وكلن طوله حوالي ٨٠ كم ، ومنذ عصر هارون الرشيد (١٧٠هـ/٧٨٦م- ١٩٣هـ/٨٠٨م) اصبح القورج يهدد مدينة بغداد بالغرق لذلك امر الرشيد بسد مدخل القناة ، وفي خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين كان القورج من اسباب الأضرار التي لحقت ببغداد من الفيضانات المتكررة ،فيروي (ابن عبد الحق) ان الحكام عملوا ما بوسعهم لسد مدخل القناة ولكن مع ذلك كان دوما يسبب الاضرار لمدينة بغداد في كل سنة ولم يات ذكر القورج بعد القرن الرابع عشر الميلادي مما يدل على انه امتلأ بالرواسب[١١] ، ومن اضراره غرق بغداد حين انفتح القورج سنة (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) وما حدث في السنوات اللاحقة وان تباعدت [١٢].

ب- الدجيل :

يبلغ طول الدجيل ١٠٠ كم ، ياخذ الدجيل من دجلة مقابل القادسية[١٣] الى الجنوب من سامراء ثم يسير موازيا لنهر دجلة حتى تصل ذنائبه في ضواحي بغداد لتروي قسمها الغربي و يروي (ابن عبد الحق) ان هذه القناة كانت تصب في خندق طاهر، ثم في دجلة بازاء عكبراء [١٤]

ج- نهر عيسى :

يخرج من الفرات تحت مدينة الانبار ويصب في جوف الجانب الغربي من بغداد [١٥] ، وهوعبارة عن قناة يستفاد منها في الملاحة و الري ، وهي إحدى أربع قنوات تصل بين نهر الفرات و دجلة ، وكانت تمر بتسعة اسواق وعند كل سوق جسر لم يبق منها في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي سوى جسرين هما قنطرة الزياتين و قنطرة البستان واخيرا تصب في دجلة اسفل قصر عيسى بن موسى[١٦] في مدينة بغداد ، ولقد استمرت كقناة صالحة للملاحة و للري خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين [١٧].

كانت واردات منطقة نهر عيسى وتوابعها تقدم لخزينة الدولة مبلغاً قدره (٥٠٥ ، ٨٧٦) ديناراً فضلاً عن الغلاة الزراعية والفواكه التي كانت رخيصة الاسعار في بغداد اكثر فصول السنة [١٨]

٢- الزراعة :-

كانت الزراعة ولم تزل العمود الفقري للاقتصاد، وكان خصب العراق مطمع أنظار المحتلين جميعا ، ولكن العراق فقد ثروته بعد العصر العباسي الأول، وفي خلال الحكم الالخاني حاول المغول جهدهم لاستعادة ثروة العراق ورخاءه ولهذا شجعوا الزراعة وعالجوا الضرائب ومشكلة الملكية العقارية و توزيع الحبوب ، ولقد شاع إقطاع القرى إلى القواد و الموظفين فكانت ؛الملكية العقارية الخاصة والمقاطعات الخاصة بالخلفاء و الامراء واعضاء الاسرة المالكة ، وأراضي منحت تحت شروط معينة ، وأراضي غير مصلحة منحت من قبل الخلفاء على شرط اصلاحها ثم زراعتها، وأراضي ممنوحة للموظفين المدنيين و العسكريين لقاء رواتبهم ، كما كان هناك الملكية الخاصة ، واراضي الوقف[١٩] التي كانت كثيرة جداً قد وضعت تحت اشراف نصير الدين الطوسي واولاده من بعده خلال جزء كبير من العهد الايلخاني[٢٠] ، والاراضي المشاعة (الاميرية) ، وحين استولى المغول على بغداد استمر وضع الملكية العقارية على حاله اذ استمروا على اقطاع القرى الى القواد ، اما اراضي الوقف فقد وضعت تحت اشراف صدر الوقوف للاشراف عليها وصرف المال اللازم لاستصلاحها[٢١] .

واهم مشكلة جابهت الايلخانيين فيما يخص الملكية العقارية هي زيادة الأراضي البور كنتيجة لتخريب نظام الري و إهمال الزراعة نتيجة لزيادة الضريبة العقارية ، ولقد نظم المغول بعض أعمال الأرض إذ استحدثوا ديوانا خاصا سموه ديوان المقاطعات [٢٢] .

كما استحدثوا ديوانا خاصا لتصفية الأراضي الأميرية أما الأراضي المملوكة للأفراد فقد تركت بيد أصحابها إلا تلك التي أهملت لمدة طويلة فمن حق اي فرد ان يقوم بزراعتها [٢٣]، وفي عام (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) اصدر غازان خان قانوناً اوجد بموجبه الاقطاعات العسكرية حيث قرر بان الأراضي الخاصة بالعائلة المالكة او أراضي الحكومة او الأراضي المخصصة للخدمات العامة

المزروعة او غير المزروعة يجب ان توزع على الجنود عوضا عن رواتبهم[٢٤] ، بالإضافة إلى ذلك اعطى الجنود الحبوب و الثيران ، ويشترط عدم بيع هذه الاقطاعات او ان تعطى او تحول الى صديق او أقارب او لتسوية مشاكل الزيجات و يعاقب بالموت كل من يخالف ذلك، فإذا هاجر أو مات صاحب الأرض تعطى المقاطعة لأحد أولاده وان لم يكن عنده أولاد تعطى لغلامه (خادمه) واذا لم يكن عنده غلام فتعطى الى شخص كفوء[٢٥] ، وتعطى ملكية الأراضي لمدة ٣ سنوات فاذا وجد انه لم يتمكن من القيام بالتزاماته تؤخذ منه وان وجدت مزدهرة مزروعة فان ملكية هذه الاقطاعية تجدد لثلاث سنوات اخرى [٢٦] ، مع ملاحظة ان السلاطين المغول كانوا يبقون الفرق واضح بين الاقطاعات الممنوحة واملاك السلطان[٢٧] .

٣- ضرائب الأراضي و المحاصيل الزراعية :

لقد حافظ الايلخانيون على النظام الإسلامي في نظام الضرائب فالأراضي العشرية استمرت على اعطاء العشر و الأراضي الخراجية تدفع الخراج الذي كان يتراوح بين ١/ ١٠ الى ٢/١ من المحصول، وكان الخراج يقوم على اساس النسبة للمحصول،أما طريقة جمع هذه الضرائب فكان يتبع نظام الالتزام (الضمان) الذي كان متبعا خلال الفترة العباسية وكانت الضريبة العقارية تدفع اما نقدا او عينا،وفي عام (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) اشتكى الزراع عند السلطان غازان لان جمال الدين الدستجراواني اجبرهم على دفع الضريبة العقارية بالذهب فاصدر غازان خان أوامره بان الضريبة تدفع نقدا او عينا كما كانت قبل الغزو، ولقد كان حمد الله المستوفي عام (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) مسئولا عن دائرة الضرائب[٢٨]

أما أهم المحاصيل الزراعية المزروعة في منطقة بغداد فكانت ، القمح وكان يشغل الأراضي المخصصة للمحاصيل الشتوية ، و الشعير، أما من المحاصيل الصيفية فيزرع القطن و الذرة أما من الفواكه فيزرع الحمضيات و الرمان ، وكانت بغداد مشهورة بزراعة الرمان ،وكذلك اشتهرت بزراعة بعض لنواع العنب ، كما اشتهرت بغداد ببساتين النخيل إذ تزرع فيها أنواع التمور وبصورة خاصة على نوعين من أنواع التمور هما المكتوم و الخستاوي ولكن الذي يبدو ان معظم بساتين النخيل قد ماتت نتيجة لعدم وصول المياه اليها لانسداد القنوات وكذلك لكثرة الحروب والثورات الداخلية في المنطقة[٢٩] ، اما من المخضرات فقد ذكر أنواع كثيرة موجودة في منطقة بغداد كالفاصوليا و الباقلاء ، الفجل ، البصل ، الثوم ، الباذنجان ، و البطيخ ، إلى جانب ذلك فان بغداد اشتهرت بمراعيها فقد اثني على المراعي الموجودة حوالي بغداد[٣٠] .

ولم تقتصر الضرائب على المزروعات حسب ، ففي سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) اخذت الضرائب من اصحاب الدور في بغداد ولمدة شهرين ، كما طولب اهل بغداد في سنة (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) بأجرة عن املاكهم ولمدة ثلاثة اشهر قد استوفيت منهم هذه الضريبة كاملة [٣١] ،

ولا يخلو ان يكون هناك جانب رحمة عند بعض سلاطين المغول في موضوع الضرائب فالسلطان اباقا بن هولاكو حين قدم الى بغداد سنة (٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) اصدر اوامره بالاحسان الى الرعية وتخفيف التمغات وحذف الاثقال الضريبية عن كاهل الناس [٣٢] .

المبحث الثاني
الصناعة والتجارة

١- الصناعة :

لقد اهتم المغول بالصناعة و الفنون فقد عين هولاكو علي بهادر لضبط الصناع والفنانين[٣٣] ، واستنادا الى (رشيد الدين) ان المغول شجعوا جميع الصناعات كالنجارة و الصبغ و النقش على المعادن و صناعة المجوهرات و النحاس كما شجعوا الصناعات الدقيقة كعمل الزجاج ولقد عمل غازان خان جهده لتنظيم الصناعة والإنتاج، ولقد سن قانونا بان كل الصناعة يجب أن تكون ضمن نقابة مستقلة في كل مدينة ولا يستلم العمال رواتبا مقننة بل تعطى لهم الرواتب تبعا لإنتاجهم كما عين رئيسا لكل هذه النقابات[٣٤] .

المصنع الملكي في بغداد :

لقد أنشأ المغول مصنعا في بغداد و نظموه وتم الإشراف عليه بكل عناية ، وكما عين شخصا حكوميا مسئولا عن المصنع، و لتشجيع الصناعة أعفى المغول بعض الصناعات من الضرائب كالقطن المغزول، ولقد أنتج هذا المصنع مختلف أنواع الصناعات كالأقمشة ، وكان الايلخانيون مهتمين بصورة خاصة بصناعة الأسلحة ، وكان في كل مدينة كثيرا من الصناع كرسوا أوقاتهم في صناعة الأسلحة كالأقواس و النبال و السيوف و يتقاضى هؤلاء الصناع الرواتب وكان عليهم ان ينهوا عددا معينا من الأسلحة [٣٥] .

أما أهم الصناعات فهي :

أ- صناعة النسيج :-

لقد اشتهر العراق بنسيج الأقمشة من الحرير و القطن و الصوف والكتان و كذلك نسج الحصران المصنوعة من سعف النخيل ولقد عمل المغول كل ما بوسعهم لتشجيع نسج الاقمشة باعفائها من الضرائب و تنظيم النقابات و انشاء المصنع الملكي في بغداد،واهم ما اشتهرت به بغداد من المنسوجات ثياب الوشي[٣٦] وكانت تصنع من الحرير وعندما استولى هولاكو على بغداد اخذ قسطا من الجزية ثياب الوشي ،أما نسج السجاد فقد استمرت شهرة بغداد ذائعة بنسجها خلال الحكم الايلخاني فلقد اشتهرت بغداد بالنقش على المعادن و ترصيعها و توجد في الحاضر في

المتحف البريطاني محبره للكتابة مصنوعة من البرنز و مرصعة بالذهب و الفضة تحمل اسم الصانع محمد بن سنكر البغدادي و تاريخ صنعها سنة(٦٨٠هـ/ ١٢٨١ م) [٣٧].

ب- صناعة الزجاج والطابوق :

كما اشتهرت بغداد بصناعة الزجاج حيث يشير (رشيد الدين) الى ان الايلخانيون شجعوا صناعة الزجاج [٣٨] ، اما مواد البناء فكانت متوفرة في بغداد وان بيوت بغداد كانت تبنى بالطابوق المحروق ،وكانوا يزينون بناياتهم بالطابوق و يرسمون على الجدران صور الحيوانات وكذلك يكتبون بالخط النسخ [٣٩] .

ج – ضرب النقود :

كانت النقود المتداولة تسك[٤٠] اما من الذهب أو الفضة أو النحاس ، وكانت النقود المغولية تشبه النقود العباسية ، إلا ان اسماء السلطان و الملك كانت تكتب على النقود ، وكان يكتب على النقود بخط النسخ أو الكوفي ، كما رسم على النقود المغولية صور حيوانات أو انسان ، بقي التداول بالنقود في العراق على عهد الايلخانيين يقوم على اساس الدينار والدرهم واجزائهما ، فضلا عن التعامل بالفلوس النحاسية التي ابطل التعامل بها سنة (٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) واصدرت مكانها الفلوس الفضية التي كان كل اثني عشر فلساً منها بدرهم وسميت دناكشير لكنها ابطلت في السنة التالية واعيد التعامل بالفلوس النحاسية [٤١] وفي نهاية القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) حاول الايلخانيون إصدار نقود ورقية اطلق عليها جاو بقصد منع التداول بالنقود المعدنية ، اذ قام السلطان الايلخاني (كيخاتو) في ايران باصدار عملة ورقية اجبر الناس على التداول بها فاضطربت بسببها معاملات الناس وارتبكت احوالهم الاقتصادية وكان قد ارسل عدة احمال منها الى بغداد لكن خبرها وصل الى بغداد قبلها فاضطر الناس الى الاستعداد لمواجهتها بجمع القوت لكن السلطان قد امر في ابطالها قبل وصولها الى بغداد فامن الناس شرها[٤٢] .

د- الصناعات النجارية

شجع المغول النجارة ، للحصول على الادوات الخشبية التي يحتاجونها كالمنجنيق[٤٣] ، ولقد ورد ما يفيد بتصليح السفن في بغداد مما يدل على وجود معمل لبناء السفن او على الأقل لإصلاحها ، كما اشتهر صناع بغداد بالنقش على الخشب[٤٤] .

٥- التجارة :

يقع العراق عند ملتقى الطرق بين اسيا من ناحية و اوربا و افريقيا من ناحية اخرى و كنتيجة لهذا الموقع الممتاز فان العراق قد ربح الكثير من النشاط التجاري ، ولقد كان اهتمام

العباسيين عظيما بالتجارة ، ولهذا حفروا القنوات و اصلحوا الطرق ، فأمتدت تجارتهم الى الصين شرقا و الاطلسي غربا ، كما وصلوا شمالا إلى روسيا و القبجاق و جنوبا حتى الناتال في إفريقيا[٤٥] ، ومما لا شك فيه بان الغزوات الأولى التي شنها المغول على العراق أثرت كثيرا على التجارة لانعدام الأمن[٤٦] ، ولكن ما ان استقر المقام بالمغول حتى عملوا جهدهم لتشجيع التجارة و تنميتها ، وقدموا كل التسهيلات للتجارة و كانت علاقاتهم التجارية طيبة مع مختلف الدول ، كان التجار بالنسبة للمغول هم العوامل البناءة و الذين يحملون النوادر و الاشياء الثمينة للملوك [٤٧]، وكانوا يكونون مجتمعا ماليا قويا حتى ان الحكومة الايلخانية اضطرت في بعض الاحيان الى الاقتراض من التجار [٤٨]، وعملوا كسفراء بين العراق والأقطار الأخرى[٤٩] ، ولهذا ضربت على التجار ضرائب استثنائية لعلمها بغناهم [٥٠].

اما الضرائب التي كانت تفرض على المصنوعات المستوردة فقد بقيت كما كانت ايام الحكم العباسي دون أي تغيير، وان حصل أي تغيير فكان ذلك إجراءاً محلياً من قبل الحكام المحليين انفسهم ، كما عمل المغول على جعل ضرائب واطئة ففي سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) اصدر السلطان اباقا خان امرا بتخفيض الضرائب ، وكل من حاول زيادتها عوقب بقسوة و صرامة ، ففي عام (٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) اعدم السلطان غازان خان صدر الدين لانه رفع الضرائب [٥١].

ويقوم جمع الضرائب على اساس الالتزام و الضمان ، وفي عام (٧٠٢هـ ١٣٠٢م) ألغى غازان خان نظام الالتزام و عين موظفين حكوميين للقيام بهذا الواجب[٥٢] ، وتشجيعا للتجارة الغى السلطان الايلخاني في بغداد ابو سعيد بن الجاتيو خدابنداه الضرائب على جميع الموارد المستوردة، في بغداد ، لذا كانت التجارة نشيطة في الداخل و الخارج ، ولتنشيط النشاط التجاري فقد ادخل غازان روحاً جديدة من الثقة في هذا الميدان عندما الغى الاوراق المالية ذات القيمة التحكمية الرجراجة ، واحل محلها نقداً معدنياً صحيح الوزن والقيمة [٥٣] .

أ- التجارة الخارجية :

امتدت تجارة العراق من (كوريا) سيلا و (اليابان) واق واق شرقا حتى المحيط الاطلسي غربا ، ومن (موزنبيق) سوفالا و الناتال جنوبا حتى أواسط أوربا شمالا ، وقد نشطت التجارة كثيرا مع الصين اثناء الحكم الايلخاني ، ولقد شجع غازان خان التجارة مع الصين و نظمها فكانت السفن العراقية تصل الى الصين و السفن الصينية تصل الى العراق ،وكانت المستوردات الرئيسة من الصين هي الخزف ، القصع الخزفية ، المسك ، الثياب الحريرية ، اللاذ (قماش حريري احمر) ، الديباج (قماش حريري) ، العود ، الاقفال ، الراوند ، ادوات فضية و ذهبية و عقاقير طبية وكان يصدر الى الصين من المنتجات العراقية التمور و الزبيب ومواد اخرى مستوردة من مناطق اخرى[٥٤].

أما التجارة مع الهند فكانت نشيطة خلال القرن السابع الميلادي/ الثالث عشر الهجري ، وما بعد على الرغم من التطورات المختلفة التي حدثت في الهند ، فلقد استورد العراق من الهند مختلف البضائع حتى النباتات، وكانت كثيرا من البضائع الهندية تشاهد في اسواق بغداد، وكان يحمل الى الهند التمور و الخمور ، والخيول و المجوهرات، اما التجارة مع وسط اسيا فكانت نشيطة و تسلك طريق خراسان المشهور الذي يبدا من بغداد حتى سمرقند ومن هناك يتفرع الى فرعين احدهما يذهب الى خوارزم و الاخر الى الصين و كان يحمل من دول اسيا الوسطى الفواكه ، الابسطة ، والورق ، و اقمشة متنوعة ، والاسلحة و المواد الخام ،اما التجارة مع افريقيا فقد استمرت منتعشة خلال الحكم الايلخاني فيروى ان منتجات زنجبار كانت تشاهد في اسواق بغداد ، ولكن يظهر ان النشاط التجاري مع افريقيا قد انقطع لاسباب كثيرة منها العداء ما بين الايلخانيين و مماليك مصر ثم تلى ذلك دخول قوى تجارية جديدية الى المحيط الهندي و اعني بها البرتغال و الهولنديون ومن ثم الانكليز وكذلك نشاط القراصنة في المحيط الهندي ذلك النشاط الذي بدا منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي [٥٥].

ب- التجارة الداخلية:

تركزت اتجارة الداخلية في بغداد اثناء العهد الايلخاني ثم في الموصل والبصرة وواسط والنجف ، اذ كانت التجارة الداخلية تعتمد على الطرق النهرية اكثر منها على الطرق البرية وذلك لرخصها وسهولتها فيتكرر ذكر دجلة اكثر من الفرات في هذا المجال فبغداد كانت ترتبط في البصرة والموصل بسبب نهر دجلة ، وهذا لا يعني ترك الطرق البرية المهمة فكان طريق خراسان العظيم يمر من بغداد الى حلوان ومنها الى همذان فالري حتى يبلغ ضفة نهر جيحون عند امل ، كما كان يخرج من بغداد طريق الى الكوفة ومنها الى الحجاز فضلا عن طريق ثاني يستخدمه الحجاج يسيروا بموازاة الطريق الاول ويصل الى مكة ، كما ارتبطت بغداد بشبكة من الطرق مع الاقاليم والامصار شمالاً وجنوباً وغرباً وشرقاً [٥٦]

أن الأنهار الصالحة للملاحة و شبكة طرق المواصلات البرية التي تربط بغداد بباقي اجزاء العراق و الجزيرة ، ساعد على النشاط الداخلي للتجارة ، وكانت بغداد تعتمد على ما يردها من شمال العراق كالقمح أو من الجنوب كالرز و التمور و الذرة[٥٧] ، وكان لموقع بغداد الممتاز أثره الاكبر على نجاحها في التجارة، إذ بنيت على نهر دجلة وربطت مع نهر الفرات بنهر عيسى الصالح للملاحة وهكذا تحكمت بملاحة النهرين ، كما كانت نقطة التقاء الطرق البرية الاتية من مختلف الأقطار ، ولم يؤثر الغزو المغولي على مركزها التجاري ، فكان هناك سوق القزازين و سوق المرسلين و سوق القمح وكان اكبرها قاطبة السوق الواقع في الشمال الغربي عند باب الموصل [٥٨]

الخاتمة

- ❖ جاء المغول إلى العراق كغزاة فسيطروا على البلاد وخربوها ولكنهم عملوا فيما بعد على بعض الإصلاحات وذلك لكي يفيدوا أنفسهم ، لكن عوامل الهدم كانت أكثر من عوامل البناء وخصوصاً بعدما كثرت الثورات بعد انتهاء الدولة الايلخانية.
- ❖ لقد افاد المغول من مشاريع الري المقامة سلفاً على عهد العباسيين ، فقد كان نظام الري في بغداد من جملة ما فيه القورج والدجيل ونهر عيسى ، أما النشاط الزراعي فكان محكوماً بملكية الأراضي والتي تنوعت إلى ؛ المقاطعات الخاصة بالخلفاء والأمراء وأراضي منحت تحت شروط خاصة والأراضي الممنوحة للموظفين المدنيين والعسكريين والأراضي ذات الملكية الخاصة وأراضي الوقف والأراضي الأميرية (المشاعة) .
- ❖ حافظ الايلخانيون على النظام الإسلامي للضرائب فكان يؤخذ من الأراضي العشرية العشور ومن الأراضي الخراجية ما يتراوح بين ١٠/١ إلى ٢/١ من المحصول ، كما كان يتبع نظام الضمان الذي كان متّبعا خلال حكم العباسيين .
- ❖ أما بالنسبة للصناعة فقد اهتم المغول بالصناعة والفنون فنظم غازان خان الصناعة والإنتاج حتى إنه سن قانوناً حدد فيه نقابة مستقلة في كل مدينة ولا يستلم العمال رواتب مقننة بل تكون تبعا لإنتاجهم فاشتهرت عندهم صناعة النسيج وصناعة الزجاج وضرب النقود والتجارة.
- ❖ أما النشاط التجاري فكان لموقع العراق الجغرافي بين القارات أثره في نجاح هذا النشاط حتى أن التجار أصبحوا مجتمعاً مالياً قوياً يستدعي الحكومة الاليخانية الاقتراض منهم بعض الأحيان فنشطت التجارة الخارجية مع الصين والهند وافريقيا، في حين كانت التجارة الداخلية بين بغداد وبعض المدن نشطة بسبب وجود الأنهار وشبكة طرق المواصلات البرية ، فاعتمدت بغداد على الشمال بتوزيع القمح واعتمدت على الجنوب بتوفير الرز والتمور والذرة .

هوامش البحث ومصادره ومراجعه

(١) هولاكو خان بن تولي خان بن جنكيز خان ملك التتار بن ملك التتار وهو والد ملوكهم والعامة يقولون هولاوون مثل قلاوون وقد كان هولاكو ملكا جبارا فاجرا كفارا قتل من المسلمين شرقا وغربا مالا يعلم عددهم وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق وكان هو يترامى على محبة المعقولات ولا يتصور منها شيئا وكان أهلها من افراخ الفلاسفة لهم عنده وجاهة ومكانة وإنما كانت همته في تدبير مملكته وتملك البلاد شيئا فشيئا حتى أباده الله ودفن في مدينة تلا وقام في الملك من بعده ولده أبغا خان وكان أبغا أحد إخوة عشرة ذكور: ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت،٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية ،مكتبة المعارف (بيروت، د.ت) ، ج١٣ ،ص٢٤٨ .

(٢) السلطانية : مدينة أنشأها أرخون خان ، وأتمها الجايتو في سنة (٧٠٤هـ/١٣٠٥م) وجعلها قاعدة للدولة الايلخانية، وعندما قامت الدولة الايلخانية أصبحت عاصمة هذه الدولة ومركزاً لها وهي على الجبال الفاصلة بين نهري زنجان وابهر ولم تكن هذه المدينة تضاهي تبريز : ينظر: ليسترنج، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة: بشير افرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة، (بغداد، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م) ،ص٢٥٧؛ بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ط٧ ، نقله الى العربية : نبيه امين فارس ومنير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٧٧ م) ، ص ٣٩٣ .

(٣) تبريز: تبريز هي أشهر مدن أذربيجان وهي مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالآجر والجص وفي وسطها عدة أنهار جارية والبساتين محيطة بها والفواكه بها رخيصة من فواكهها مشمشها المسمى بالموصول وعمارتها بالآجر الأحمر المنقوش والجص على غاية الإحكام: ينظر : الحموي، ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله، (ت، ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان ، دار الفكر ، (بيروت، د.ت) ،ج ٢ ، ص ١٣.

(٤) مجموعة باحثين : العراق في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٨٣ م) ، ص٥٤٧ .

(٥) الوزير بن العلقمي الرافضي محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أبي طالب الوزير مؤيد الدين أبو طالب ابن العلقمي وزير المستعصم البغدادي وزير سوء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين مع أنه من الفضلاء في الانشاء والادب وكان ردئ الطوية على الاسلام وأهله وقد حصل له من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لغيره من الوزراء ثم مالأ على الاسلام وأهله الكفار هولاكوخان حتى فعل ما فعل بالاسلام وأهله ثم حصل له بعد ذلك من الإهانة والذل على أيدي التتار الذين مالأهم وزال عنه ستر الله وذاق الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة أشد وابقى وقد رأته امراة وهو في الذل والهوان وهو راكب في أيام التتار برذونا وهو مرسم عليه وسائق يسوق به ويضرب فرسه : ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١٣ ،ص ٢١٢.

(٦) ابن العبري، غريغوريس بن أرطون الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٧م)، تاريخ مختصر الدول ، مطبعة الاباء اليسوعيين، (بيروت، ١٨٩٠م)، ص٤٧٥ ؛ عباس العزاوي ، العراق بين احتلالين ، (بغداد ، ١٩٥٦م) ، ج١ ، ص٢٠٢ .

(٧) احد قادة هولاكو تم تأميره على بغداد وقد جعل وزيره ابن العلقمي وكان غازان خان نفسه فنانا ولقد اجاد في جميع ابواب الفن و الصناعة . وكان هو يرشد الصناع : ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١٣ ،ص ٢٤٩.

(٨) ابن الفوطي،كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي (ت،٧٢٣هـ /١٣٢٣م) ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تحقيق : مهدي النجم، ط١، (بيروت/ لبنان ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) ، ص٢٣٨-٢٣٩ .

(٩) السواد اسم اطلقه العرب على السهل الرسوبي .

(١٠) عَلْثٍ : بِفَتْحِ العين وآخره ثاء مثلثة : من قرى بَغْدَاد بين عُكبرا وتكريت، يُنْسَبُ إليها بعض المتأخرين:ينظر: الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي (ت ، ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) ،الأماكن،ما اتفق لفظه وافترق مسماه، (بيروت، د.ت) ، ج ١ ، ص ٩١.

(١١) صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت،٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية ، ط١، (القاهرة ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م)، ج١، ص٤٥٨.

(١٢) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٣٩٤ ــ ص٤٤٩ .

(١٣) القادسية : قرية من احسن المواقع وأنزهها تقع قرب سامراء وهي من القرى الكبيرة التي امتازت بصناعة الزجاج أبان الدولة العباسية : ينظر: الشابشتي ، أبو الحسن علي بنمحمد ، (ت،٣٨٨هـ/٩٩٨م) ،الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد ، ط٢ ،(بغداد ، ١٩٨٦) ، ص٣٣٧.

(١٤) مراصد الاطلاع، ج٢، ص٦٢ .

(١٥) ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص١٠٢١ .

(١٦) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي ولي عهد المنصور وأن أبا جعفر المنصور أرسله في سنة خمس وأربعين ومائة إلى محمد بن عبد الله بن الحسن وكان المنصور حين أرسل عيسى قال لا أبالي أيهما قتل الآخر إن قتل عيسى محمدا فبها ونعمة وإن قتل محمد عيسى استراح منه ليعهد إلى ابنه المهدي فصار عيسى في أربعة آلاف فارس فكان الظفر له: ينظر : السخاوي، الإمام شمس الدين (ت، ٩٢٢هـ/١٤٩٦م):التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ج٢، ص٣٦٩ .

(١٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٨٤٢ .

(١٨) المستوفي القزويني ، نزهة القلوب ، ص٢٠٧ .

(١٩) الوقف: (عند الفقهاء) الحابس لعينه إما على ملكه وإما على ملك الله تعالى وخادم البيعة لأنه وقف نفسه على خدمتها جمع وقف ووقوف: ينظر : إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، (بيروت، د.ت)، ج٢،ص١٠٥١.

(٢٠) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٣٣٣ ــ ص ٤٥٦ .

(٢١) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعه ،ص٤٧٨ .

(٢٢) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ص ٤٧٨ – ص٤٧٩ .

(٢٣) رشيد الدين ، فضل الله (ت، ٧١٨هـ/١٣١٨م)، جامع التواريخ ، ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون ، دار إحياء الكتب العربية،(بيروت،١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، ص٥١٣- ص٥١٦ .

(٢٤) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ص ٣٠٧ .

(٢٥) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ص ٢٠٨ .

(٢٦) الفيل ، محمد رشيد (الدكتور) : ((الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد اثناء الحكم الايلخاني)) ، كتاب اداب وثقافة ، ج١٢ ، ص٣٠٩ ــ ص٣١٠ .

(٢٧) خصباك ، جعفر حسين (الدكتور) : ((احوال العراق الاقتصادية في عهد الايلخانيين المغول)) ، كتاب اداب وثقافة ، ج١٢ ، ص١٣٠ .

(٢٨) ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية،تحقيق:ممدوح حسن محمد،(مصر، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص١٦٤-١٩٨ .

(٢٩) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ص٤١ ــ ص٤٨ .

(٣٠) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ص٧٢ .

(٣١) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعه ، ص٣٩٨ ــ ص٤٣٠ .

(٣٢) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعه ، ص٣٧٥ .

(٣٣) رشيد الدين ، المصدر السابق، ص٧٣ .

(٣٤) الفيل ، الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد ، ص٣٠٢ .

(٣٥) القزويني ، زكريا بن محمد (ت ، ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) : اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٦٠) ، ص٢٠٩ ــ ص٢١١ ؛ ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله (ت ، ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م) : رحلة ابن بطوطة ، دار احياء الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٨٧) ، ج١ ، ص١٤٠ ــ ص١٤٢ ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج١ ، ص٤٠٠ .

(٣٦) الوشي : هو أن يجعل في القماش لوناً يخالف لونه: ينظر : الزين ، سميح عاطف ، مجمع البيان الحديث، ط١، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت، ١٩٨١) ، ص٩٢٧.

(٣٧) العزاوي ، عباس : العراق بين احتلالين ، (بغداد ، ١٩٥٦ م) ، ج١ ، ص٢٢٩-٢٣٠ .

(٣٨) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ص٣٠٩ .

(٣٩) القلقشندي، ابو العباس احمد بن عبد الله (ت٨٢١هـ/١٤١٩م): صبح الاعشى في صناعة الانشا، (القاهرة، د.ت) ،ج٤ ، ص٣٣٠ .

(٤٠) السك : اسم للطابع وهي الحديدة المتّخذة للختم على الدينار والدرهم ، مما ينقش عليهما من صور وكلمات ، والسكة وسيلة لحفظ النقود مما يخل بها من غش ونقص : ينظر: الأزرق، أبو عبد الله (ت٨٩٦هـ/ ١٤٩٨م)، بدائع السلك وطبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م) ، ج١، ص٢٦٤.

(٤١) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٤٣٠ ــ ص ٤٣١ .

(٤٢) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٤٧٧ ــ ص ٤٧٨ .

(٤٣) المنجنيق : آلة حربية ترمى بها الحجارة ، معرّبة وأصلها بالفارسية من جي نيك ما أجودني : ينظر : الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت،٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م) ، الصحاح تاج اللغة العربية وصحاح العربية ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ،ط٢، دار العلم للملايين ، (بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٤، ص١٤٥٥؛ أديشير، الألفاظ الفارسية المعرّبة ، مطبعة الاباء اليسوعيين، (بيروت، ١٩٠٨م)، ص١٤٦.

(٤٤) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ص١٧٢ .

(٤٥) المقريزي ، السلوك ، ج١ ، قسم ٣ ، ص ٦٦٣ .

(٤٦) عاشور ، سعيد عبد الفتاح (الدكتور) : مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، د . ت) ، ص٢٨٦ .

(٤٧) المقريزي ، السلوك ، ج١ ، قسم ٣ ، ص٦٦٣ .

(٤٨) ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ، ٧٧٤ هـ / ١٣١١ م) : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، (بيروت ، د . ت) ، ج١٣ ، ١١٩ .

(٤٩) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٤٣٠ .

(٥٠) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٢٥٩ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج٢ ، قسم ٣ ، ص٤٤٦ .

(٥١) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٣٧٥ ــ ٣٩٥ .

(٥٢) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٣٩٥ ــ ٣٩٦ .

(٥٣) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص٣٩٢ .

(٥٤) المقريزي ، السلوك ، ج٢ ، قسم ١ ، ص١١٥

(٥٥) الفيل ، الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد ، ص٣٢٤ .

(٥٦) ليسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٣ ــ ٢٤ .

(٥٧) اليعقوبي ، احمد بن واضح (ت ، ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) : البلدان ، بريل ،(ليدن ، ١٨٩١ م) ، ص٢٦٣ ؛ مصطفى ، شاكر : المدن في الاسلام ، ط١ ، ذات السلاسل للطباعة والنشر ، (الكويت ، ١٤٨٨هـ / ١٩٨٨ م) ، ج٢ ، ص٤٣٢ .

(٥٨) الفيل ، الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد ، ص٣٢٥ .